

في ٤ تشرين الأول ٢٠٠٧
إلى إخوتي الخمسة



«يا امرأة من تطلبين؟»

(يوحنا ٢٠: ١٥)

«وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باقٍ... ورأت يسوع فقال لها: يا امرأة لماذا تبكين ومن تطلبين؟»
«من تطلبين؟» إن الرب بهذه الكلمة الموجزة وصف حالة مريم كلها، وفي الوقت نفسه وضع لها برنامج حياة. لم يقل الرب ماذا تطلبين بل من، وقد يكون مفتاح حياتنا الروحية كلها في هذا الانتقال من ماذا إلى من... حين كانت مريم ملازمة القبر تلتبس سيدها أين وضعوه، كانت تلاميذه «في موضعهم»... «يتحرقون مما كان»... يتساءلون ماذا؟ رغم أنه عليهم أمراً واحداً: أن يلتبسوه وحسب.

أليست قصتنا مع الرب تهر وتستهزئ في مرحلة «ماذا؟».
حين نتوقف عند «ماذا» ولا نبتغيه هو من ورائها: من وراء النجاح والفشل، والحيرة والشدة... إن كنا نطلب لأنفسنا مجداً أو راحة، جهادا، أو نتائج، عاجلاً أم آجلاً يظهر عجزنا وعدمنا. إن بقينا بعيدين عنه، فلا تضحية، ولا نظام، لا صمت، ولا صلاة تستطيع شيئاً من أجلنا.

أما حين نبتغيه هو حتى النهاية «إن كنت أنت قد حملته فقل لي أين وضعته وأنا أخذه»، حين نصادفه كغريب في كل شيء، وفي كل حين، ونسأله أين هو، لأن نظرنا يبحث عنه من خلال كل شيء، حين لا يبقى أمامنا سوى الفراغ الكلي والدموع والحب... عندئذ يقول: «مريم»، عندئذ نجده ونجد أنفسنا فيه.

يا امرأة من تطلبين؟ الرب وحده، هو، يقف بهريم ويسأل، رغم كل الظواهر التي رأتها مريم، هو الذي يطلب... وليس الغياب والفراغ سوى إعداد لظوره. لو كنا نعلم عطية الله. إن توقعنا حضوره رغم كل شيء، وتركناه يطلبنا ويأخذنا إليه نصير ولا شك حيث هو إلى الأبد: «إن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتياً أيضاً وأخذكم إلي حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً».

تجاه هذا السر العظيم، يا نفسي أنظري، وتداركي أمرت في الطريق: ماذا، من تطلبين؟

الأب ابراهيم سعد